الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها في العصر العباسي، وظهور التدوين للعلوم والفلسفات، وقيام بعضهم بالترجمة عن اليونانية والهندية والفارسية ظهر فلاسفة كبار كان لهم دورهم في الحضارة الإنسانية كابن سينا والفارابي والكندي وابن الهيثم وابن حيان وابن رشد والغزالي وابن طفيل.

كما ظهرت النزعة العقلية عند المعتزلة واعتمادها على المأمون في دعمها ثم بدأ إيجاد المكتبات العامة في بغداد والقاهرة ودمشق ومكة والقيروان والأندلس، كما ظهرت شخصيات صوفية صارت لها شهرة عالمية كابن عربي والحلاج والسهروردي والشيرازي وغيرهم.

ومن ثم بدأ الركود العلمي في العالم العربي والإسلامي بسبب الهجوم المغولي والصليبي، وتمزقت الأمة إلى دويلات وسقطت الأندلس، واستمرت حتى مرحلة الدولة العثمانية التي لم تعمل جاهدة للعمل على نشر الثقافة والفلسفة والمنطق والتعليم إلا في نهاية مرحلتها قبل سقوطها.

إلا أن ظهرت بعض البوادر الإصلاحية الفكرية والثقافية والنهضوية في عهد محمد علي باشا حيث أوفد العلماء والمهندسين والأطباء إلى أوروبا وظهر جيل من الرواد كأمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورفاعة الطهطاوي ومحمد رشيد رضا، كما ظهرت على الساحة مجموعة ممن تأثروا بالحداثة كأمثال سلامة موسى وطه حسين ومحمد أركون وأدونيس وحسن حنفي وعزيز العظمة وجابر عصفور وفؤاد زكريا وصادق جلال العظم والطيب تيزيني ومحمد شحرور ونيازي عز الدين ومحمد جحا وسيد القمني.

كما ظهر على الساحة العربية والإسلامية إبان النهضة محمد إقبال، وأنور الجندي، وعلي شريقي والجابري والفاسي، ومالك بن نبي ومحمد سعيد رمضان البوطي ومحمد باقر الصدر وعلي الوردي وسميح الزين وعادل العوا، ومحمد عمارة وغيرهم.

إن ما أفرزته النهضة الحديثة، والصحوة الإسلامية، بأن نوقشت الفلسفة الغربية على عدة اتجاهات، بعضهم أيد المقولات العقلية كأمثال الطيب تيزيني، صادق جلال العظم ومحمد شحرور ونيازي عز الدين وأدونيس، ورفاعة الطهطاوي وسلامة موسى، وطه حسين، وسيد القمني. ونصر حامد أبو زيد ونجيب محفوظ، وخليل عبد الكريم والمستشار سعيد العشماوي وعزيز العظمة. ومنهم من نظر إليها أنها فلسفات تخص الغرب ولا تتوافق مع المشروعات الإسلامية وهاجمها أنور الجندي ومحمد قطب وسيد قطب ومحمد الغزالي وأحمد محمد حسين ومحمد أبو زهرة وعادل العوا، ومحمد البهي، ومحمد إقبال وعلي شريقي ومحمد خاتمي ـ وباقر الصدر ومهدي شمس الدين وسميح عاطف الزين، وعبد الكريم اليافي ومصطفى السباعي ومحمد مبارك.

ولكن لم يظهر أي نقد علمي موضوعي إلا في نقد الماركسية وبعض نظريات الإلحاد ولم تناقش هذه الفلسفات بشكل كامل لإثبات الهوية العربية الإسلامية علماً أن العديد من الغربيين ناقش الفلسفة الواقعية، والعقلية والحسية والمادية التاريخية والوجودية والبراغماتية.

لماذا لم تظهر على الساحة العالمية أسماء أعلام مسلمين ساهموا في إيجاد فلسفة إسلامية متميزة فريدة لها ثوابتها وأصالتها أمثال ابن رشد والغزالي والفارابي والكندي وغيرهم.

هل عقمت النساء أن تخرج لنا عباقرة مسلمين يصلون إلى العالمية وتترجم كتبهم إلى اللغات الحية أمثال روجيه غارودي وعلي شريعتي ونجيب محفوظ ويفندون آراء الغرب الفلسفية ويظهرون فلسفة القرآن العملية والأخلاقية لتحقيق العدل العالمي، والحالة الإنسانية والتسامح وإقامة الحق، والمساواة وحقوق الإنسان وحقوق المرأة في الإسلام، وأن الإسلام سبق الغرب بالحرية والديمقراطية وقبول الآخر والحوار العلمي بالتي هي أحسن.

وخلاصة القول: إن فلسفة كانت وديكارت ووليم جيمس وهيوم وجون لوتس ومارس وهيجل ولينين قد قام بعض الفلاسفة أمثال يوسف كرم في كتابه تاريخ الفلسفة الحديثة بتفنيد آراء بعض أصحابها في حوار علمي مدروس لما قام به محمد باقر الصدر في كتابه (فلسفتنا) كما قام محمد الغزالي ومحمد البهي وأنور الجندي بدراسات جيدة حول كل الفلسفات الغربية ولا ننسى محمد إقبال وأبا الأعلى المودودي وأبا الحسن الندوي في الرد العلمي على كل هذه الفلسفات، ونديم الجسر في قصة الإيمان، وأحمد مظهر في بعض كتبه، وظهر على الساحة بشكل رائع د. محمد عمارة وعلي شريعتي ومحمد خاتمي وعمر فروخ ومصطفى الخالدي والعديد في الرد على الفلسفات الغربية المخالفة للإسلام علماً بأن الذين ناقضوا الأديان في الغرب لم يهاجموا الإسلام إلا من قبل بعض المستشرقين أمثال جولدزيهر وشاخت وجب وهنتغتون وفوكوياما ونولدكه. كما تصدى بعض الغربيين للدفاع عن الإسلام أمثال هيدلي ومحمد أسد (ليوسولدفايس) وزيغريد هونكه وشميل، وكارليل، وأرمسترونغ، وتوماس أرنولد وكونيني وجوستاف لوبون وماسينيون وتشاموسكي وول ديورانت وروجيه غارودي ومايكل هارت ومراد هوفمان وواشنطن أرفنج.

إن كل هذه الأفكار التي تبناها بعض الغرب حول الإسلام المعتدل كانت نتيجة دراسة علمية محايدة، وأنها ساهمت في الحضارة الإنسانية كما ظهر بعض الكتاب الحاقدين في العصر الحاضر أمثال هنتغتون وفوكوياما وفريدمان وغيرهم ممن اتهموا الإسلام بالإرهاب والأصولية الجهادية، وهذا مظهر للاهتمام بالدراسات الإسلامية. ولابد من إيجاد مراكز للبحث واستقطاب المعتدلين لاستمرار الحوار معهم للتعمق في الفلسفة الإسلامية العملية الواقعية لتحقيق العدالة الإنسانية والسلام العالمي والحوار العلمي المدروس.